لقد انتصرت ارادة الشعب الفيتنامي على قوى الظلم والطغيان بعد حرب طويلة الأمد

سايغون منذ الشهر الاول من عام ١٩٧٣ . واعترف الناطق بلسان البنتاغون ، بأن وزارة الدفاع الامريكية هي التي تحدد جميع المعلومات الخاصه بعمليات الجيش السايغوني ، بما في ذلك تعداده ، وعدد الطلعات الجويه ... وان نظام سايغون ليس له اي حق في ابداء الراي . (السنة المالية لعام ١٩٧٥ ، جلسات لجنة القوات المسلحه ، مجلس الشيوخ ، المؤتمر ٩٣ ، الجلسة الثانية ، ٢١ ، ٢٢ و ٢٦ اذار ١٩٧٤) .

تنص المادة الخامسه من الاتفاق حول وقف الحرب واحلال السلام :

خلال فترة ستين يوما ، ابتداء من يوم توقيع الاتفاق الحالي ، يجب ان يتم الانسحاب الكامل من جنوب فيتنام لجميع الجيوش وجميع المستشارين العسكريين والجهاز العسكري بكامله بما في ذلك الجهاز العسكري التقني والجهاز العسكري الخاص ببرنامج الـ ((تهدئة)) ، وكل الاسلحة والذخائر والمعدات الحربية التابعة للولايات المتحدة الامريكية والبلدان الاجنبية الاخرى ، المعينة في المادة الثالثة(١) . ويجب ان ينسحب خلال نفس الفترة مستشارو البلدان الاتفه الذكر لدى جميع المؤسسات شبه العسكرية والبوليس .

ولكن كان يوجد في جنوب فيتنام قبل الهجوم الثوري الاخير ٢٥ الف عسكري امريكي مموه باللباس المدني . منهم ١٠ الاف كانوا موجودين قبل تاريخ ٢٨ — ١ — ١٩٧٣ . و ١٥ الف ارسلوا اليها بعد هذا التاريخ .. وفضحت وجودهم عمليات الاجلاء الامريكية في الايام الاخيرة التي سبقت تحرير سايغون ..

المادة ١٤ من اتفاقية باريس بشان فيتنام :

تنص المادة ١٤ من اتفاقية باريس بشان فيتنام : ان جنوب فيتنام ستطبق سياسة خارجية مستقلة مسالمة ، وانها مستعدة لاقامة علاقات مع جميع البلدان على اختلاف انظمتها السياسية والاجتماعية ، على اساس الاحترام المتبادل، والاستقلال، والسيادة. وتقبل المعونات الاقتصادية والتقنية من اي بلد كان على الا تكون مصحوبة بشروط سياسية .

اما مسالة قبول المساعدات العسكرية في المستقبل ، فانها ستكون من صلحية الحكومة التي ستشكل بعد الانتخابات العامة التي ستجري في جنوب فيتنام والمشار اليها في المادة ٩ (ب) .

— ولكن قيمة المساعدات العسكرية الامريكية التي قدمت بالفعل لنظام نغوين فان ثيو منذ توقيع اتفاقية باريس قد فاقت بكثير قيمة المساعدات التي قدمت له في الاعوام الفائتة :

وان هذه المساعدة تفوق بكثير النسبة التي سمح بها الكونغرس . لان البنتاغون يلجأ دوما الى شتى الطرق الملتوية لتجاوز الحدود المفروضة . وكانت الولايات المتحدة بتلك المساعدات الضخمة تنفق من اجل :

— تمويل الحرب وخنق الحريات الديمقراطية .

— فرض دكتاتورية عسكرية موالية لامريكا في جنوب فيتنام .

— بناء مجموعة المنشآت اللازمة للقوى العسكرية من اجل متابعة ((فتنمه)) الحرب ، واستخدام ادارة نغوين فان ثيو لتغطية انخراط الولايات المتحدة العسكري وتدخلها في الشؤون الداخلية لجنوب فيتنام .

— الم يعترف السفير الامريكي في سايغون غراهام مارتن ، في ٢٥ — ٧ — ١٩٧٤ امام لجنة العلاقات الخارجية التابعة لمجلس الشيوخ ان ((المساعدة الاقتصادية الامريكية خدمت بصورة رئيسية الاعمال الحربية طوال الاعوام العشرة المنصرمة)) ؟

وهكذا ، رغم توقيع اتفاقية باريس واصلت الولايات المتحدة التزامها العسكري وتدخلها في الشؤون الداخلية لجنوب فيتنام .

وقد اكد ذلك ريتشارد نيكسون وهو لا يزال رئيسا للولايات المتحدة : ((ان الانسحاب الامريكي من فيتنام لا يعني تغيرا في مصالح الولايات المتحدة ، بل تغيرا في اسلوب الحصول على هذه المصالح)) .

ان هذا ((الاسلوب)) يستوجب من جهة ((وجود

امريكي)) كما اعترف بذلك بكل صراحة معاون وزير الخارجية الامريكي كينث رائش (نشرة وزارة الخارجية في ٢٥ — ٢ — ١٩٧٤) . ومن جهة اخرى زيادة المعونة العسكرية والـ ((اقتصادية)) زيادة كبيرة لنظام سايغون ليتسنى له متابعة الحرب والقمع . واعترفت وزارة الخارجية بذلك في شهر اب الماضي على الشكل التالي : ((النقطة الاساسية لنظرية القتال الامريكية التي تركنا بنجاح تطبيقها للفيتناميين الجنوبيين تصور اقصى قدر عملي مع اقل قدر بالخسائر البشرية . وذلك يتطلب استعمال كبير للتجهيزات واستهلاك مرتفع بالذخيرة)) . (كونغريسيونال ريكورد ، ٢١ — ٨ — ١٩٧٤).

وهذه النقطة اعترف بها ايضا نغوين فان ثيو حين قال: ((انا موافق على فيتنمه الحرب ويكفي ان يقدم الحلفاء ما يكفي من الاسلحة والعتاد لان الكائنات الحية لا تنقصنا . فنحن مصممون على القتال حتى اخر فشكة ، حتى اخر قطرة دم ، حتى اخر حبه رز)) ، (١ — ١٠ — ١٩٧٤) .

فيمتابعة ((نظرية نيكسون)) في جنوب فيتنام فان مسالة المساعدة العسكرية لنظام سايغون ترتدي اهمية كبرى بالنسبة للادارة الامريكية . رغم تعقيد الامور ، ولا سيما المعارضة المتزايدة في الكونغرس والراي العام الامريكي، وجدت الولايات المتحدة الامريكية نفسها مضطرة ان تقلص المساعدة على الاقل على الورق . لان الطرق العديدة الملتوية التي يستخدمها البنتاغون من اجل تجاوز الحدود المفروضه معروفة . فكل ذلك يبعث على التفكير انها تواصل دائما نفس السياسة .

وفي الخطاب الذي القاه جيرالد فورد بتاريخ ١٢ — ٢ — ١٩٧٤ ، اكد انه سيتابع سياسة ريتشارد نيكسون في جنوب فيتنام . وفي ١٢ — ٩ — ١٩٧٤ تدخل شخصيا لدى الكونغرس طالبا منه اعادة النظر في مسالة تقديم المساعدة لنغوين فان ثيو . وفي ٥ — ١٠ الماضي استقبل ((وزير خارجية)) سايغون ليؤكد له ان ((الحكومة الامريكية ستقدم لنظام سايغون اقصى مساعدة عسكرية واقتصادية)) .

وبهذه المساعدات الامريكية المباشرة (الوجود العسكري المموه) وغير المباشرة (الاموال والاسلحة) واظبت زمرة فان ثيو وبكافة اساليب التحايل والمماطلة ، على انتهاك اتفاقات باريس . ومثلما كان الامر في البداية الاولى ، كانت تلك الانتهاكات تستهدف منع التحضير للانتخابات العامة التي تنص عليها تلك الاتفاقيات وتجنب اجراءها ، لان واشنطن وسايغون كانتا تدركان بانها لو اجريت فان انتصار جبهة التحرير الوطني امر محتوم .

الدافع ذاته الذي حمل واشنطن وحكومة الديكتاتور دييم على رفض اجراء الانتخابات العامة في جنوب فيتنام قبل ٢٠ سنة ، لانها كانت ستؤدي الى الانتصار الحتمي لهوشي منه .

والاسباب المماثلة تؤدي الى نتائج مماثلة . فقد ادى رفض الحكم المسخ العميل في سايغون قبل ٢٠ عاما ، باجراء الانتخابات الى مقاومة وتدخل امريكي مباشر ، تطور الى حرب امريكية شاملة ضد شعوب الهند — الصينية . ومنيت امريكا بهزيمتها العسكرية على يد الثورة الفيتنامية ، واضطرت الى الانسحاب ولكن لتواصل السعي نحو الهدف ذاته بوسائل اخرى واشكال اخرى . وبذلك مكنت الزمرة السايغونية من الاصرار على رفضها اجراء الانتخابات . فكان لا بد وان تستثير ردة فعل مماثلة . ولكن هذه المرة من الثورة المنتصرة على القوات العسكرية لاكبر دولة امبريالية في العالم ، من ثورة ممسكة بقوة وثقة على زمام المبادرة الذي لم تفلته من ايديها يوما ، وفي ظروف غياب الحشد العسكري الامريكي العامل الرئيسي الوحيد الذي منع انهيار نظام الحكم العميل برموزه المختلفة ، طوال السنوات العديدة الماضية .

وبدت واشنطن مقتنعة بامكانية استمرار وبقاء النظام العميل في سايغون اذا ما واصلت تقديم المساعدات الضخمة له . وكان تلك المساعدات العسكرية يمكنها ان تعيد ثقة مفقودة في القوات المسلحة بالمؤسسات والمجتمع اللذين يدافعان عنها . وكان ما عجزت معها عن تحقيقه طوال عشر سنوات ، بل اكثر ، يمكن ان تحققه هذه القوات وحدها — تقريبا — وبعد تجربة طويلة لم تقطف منها سوى ثمار الهزائم .

وقد تميزت الفترة تلك حتى الخريف الماضي (١٩٧٤) باشتباكات مستمرة ولكن محدودة ، بين قوات الثورة والقوات السايغونية ، كانت تحاول خلالها سايغون استعادة المناطق المحررة الى سيطرتها (وكان نصا من نصوص اتفاقية باريس يقول برسم الفريقين لخطوط المناطق التي يسيطران عليها) وقد كانت الثورة تحقق مكاسب كبيرة على الصعيد الدولي باعتراف العشرات من دول العالم بالحكومة الثورية المؤقتة ممثلة شرعية لجنوب فيتنام في الوقت الذي تزداد فيه عزلة فان ثيو وزمرته — وقد ازدادت مخاوفهم بعد اتخاذ الكونغرس الاميركي اجراءات تعكس فقدان صبر الاكثرية فيه من متطلبات الابقاء على هذه الزمرة في الحكم: تخفيض نسبة المساعدات الاميركية لسايغون ، وتشريع قانون يفرض قيودا على سلطة الرئاسة التنفيذية في انخراط القوات الاميركية في حرب دون العودة الى الكونغرس.

● الهجوم الثوري الرئيسي

وفي خريف ١٩٧٤ بدأت الاشتباكات المحدودة في جنوب فيتنام تؤشر الى احتمال تطورها . فقد بدت الهجمات الثورية وكانها تمهيدات لما هو اضخم. وكانت بوادر مماثلة تظهر في كمبوديا . ورغم ان وزير الدفاع الاميركي شلسنغر كان يقول بان لا هجوما ثوريا رئيسيا قبل عام ١٩٧٦ ، فقد بات من الواضح مع شتاء هذا العام ، ١٩٧٥ ، ان تلك العمليات لم تكن سوى تمهيدات له ، وفي البلدين . وهرعت الادارة الاميركية تستجدي الكونغرس لارسال مساعدات اضافية لنظام حكم لون نول الذي بدا انذاك ، في حالة ميؤوس منها اكثر بكثير من حالة زمرة فان ثيو في سايغون . وبينما كان الرئيس فورد يخوض معاركه مع الكونغرس في واشنطن ، كان الحصار الثوري للعاصمة بنوم بنه يشتد حتى اصبحت العاصمة محاصرة كليا ، بينما كان الخطر يتزايد على الزمرة السايغونية .

في كمبوديا لم ينفع الجسر الجوي الاميركي — المنفذ الوحيد للعاصمة مع العالم الخارجي — في ان يكون مساعدة كافية للون نول . وادركت الولايات المتحدة في النهاية بان لا امل لهذه الزمرة الحاكمة سوى بالتفاوض مع الثوار الكمبوديين الحمر للاتفاق على تسوية . فقد وصل اليأس الاميركي الى درجة ان واشنطن اصبحت مستعدة ((بالموافقة)) على تسوية يشارك فيها الكمبوديون الحمر في السلطة . ولكن القيادة الثورية اوضحت موقفها بان لا تفاوض مع خونة الشعب الكمبودي . وازاء هذا الرفض وعجز القوات الحكومية عن فك ثغرة في الحصار وتحقيق ولو انتصار رئيسي في المعركة وتدهور الوضع العام في العاصمة ، دفع واشنطن الى تجربة لعبة تغيير الاقنعة مرة اخرى . اوعزت الى عميلها لون نول بضرورة الاستقالة ، ليحل محله احد افراد الزمرة العميلة ، عل في هذا التغيير ما يقنع الثوار بالجلوس الى طاولة المفاوضات مع بنوم بنه ، للاتفاق على تسوية مماثلة للتسوية في لاوس .

وكان من الطبيعي ان يرد الكمبوديون الحمر على هذه المناورة الامريكية بالرفض القاطع . فقد كانت تهدف الى قطع الطريق على تسلم الثورة السلطة الكاملة في البلاد . وقد بدت الولايات المتحدة في حالة من العجز ((يرثى لها)) ، عندما واصلت التنازل ، تدعو الامير سيهانوك — الخصم الذي اطاحت به قبل خمس سنوات — بالعودة رئيسا في كمبوديا(!) بعدما فشلت مناورة اقالة لون نول في استدراج الثوار المنتصرون الى التفاوض على تسوية ، وكانها ما تزال قادرة على الاختيار والقرار !